

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❶ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❷

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ❸ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ❹

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ❺

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ❻

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ❼

مقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، الذي هدى المؤمنين الى اختيار الأفضل وأتباعه،
والدّرء لعكسه واجتنابه، وصلى الله على رسوله الذي اصطفاه، صلاةً
ترضيه يوم لقائه، وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً.

أمّا بعد،

يهدف كتابنا هذا، "دليل التوحيد"، إلى الإضاءة على معظم ما يحتاجه
الموحد، وبخاصة الأهل وأولي الأمر، كيما يجيبوا على أسئلة بناتهم
وأبنائهم واستفساراتهم بخصوص الدين عامة، والتوحيد على وجه
الخصوص؛ وعن أسلم الطرق، وربما أقصرها، نحو معرفة أفضل
بطرائق عبادة الله عزّ وجلّ.

إن المفهوم الديني في مذهب التوحيد يتلخص في كلمة
"الإحسان" وهو "ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

انطلاقاً منّ أحيا معالم المذهب وأهم مرجعية مرت من أسلافنا
الموحدين الدروز في بلاد الشام (لبنان وسوريا وفلسطين) السيد الأمير
عبد الله التنوخي(ق).

واستناداً الى المرجع الثاني من حيث الأهمية الشيخ الفاضل المكنى
بأبي هلال (ر)، والى العديد من شيوخ المذهب ذوي الديانة والتقوى
والعرفان، نقدّم هذا الكتاب الى الشباب والشابات الموحدين.
وإلى كل من يسعى للكمال الأنسي.

شيخ عقل طائفة الموحدين الدروز

٢٠١٨/٩/٥

نعيم حسن

توطئة

الدعوة الى التوحيد من قِدم الخليفة، وهي استمرار للمسالك
العرفانية ومسالك الحكمة عبر العصور، شملت التراث الإبراهيمي
واكتملت في الإسلام.^(١)

وجاء في "رُوحِ البَيَانِ: "حَقِيقَةُ دِينِ الإِسْلَامِ التَّوْحِيدُ". وَاتَّفَقَ
غَالِبُ العُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ المِرَّةَ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا عِنْدَ اللَّهِ بِدُونِ التَّصَدِيقِ،
وَأَنَّهُ لَا يَكْفِي مُجَرَّدَ القَوْلِ بِاللِّسَانِ وَالإِقْرَارِ بِدُونِ التَّصَدِيقِ مِنْ عُمُقِ
الْقَلْبِ. وَهَذَا يُطَابِقُ الشَّرْعَ فِي تَعْرِيفِهِ لِالإِيْمَانِ بِأَنَّهُ "تَصَدِيقُ بِالْجَنَانِ،
وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ". فَالإِسْلَامُ بَابُ الإِيْمَانِ وَالإِيْمَانِ
بَابُ التَّوْحِيدِ.

عَلَّمَ جِبْرِيلُ (ع) النَّاسَ دِينَهُمْ لَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ بَيْنَ النَّاسِ قَائِلًا:
"مَا الإِيْمَانُ؟ قَالَ: الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ،
وَتُؤْمِنَ بِالبَعْثِ. قَالَ: مَا الإِسْلَامُ؟ قَالَ: الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ
بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ. قَالَ: مَا
الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" (البخاري)،

(١) أركان الإسلام: الشهادتان، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج لمن استطاع إليه سبيلاً، جاء في
الكتاب الكريم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر ١-٣].

ورتبة الإحسان هي كمال التوحيد. وبهذا أخذ مذهب التوحيد لطائفة
الموحدين الدرّوز.

ولذلك يستوجب دوام مراقبة العبد لربه في كل أقواله وأفعاله وفي
سره وجهره لأنه مطلع عليه في كل زمان ومكان^(١).

(١) جاء في الكتاب الكريم: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة ٢٣٥] - ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء ١] - ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد ٤] - ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر ١٩].

الفصل الأوّل

مذهب التوحيد وأركان الإيمان

الله اسمٌ تفرّد به البارئ جلّ وعلا، أصله إله بمعنى المعبود، ودخول الألف واللام عليه للتعظيم وليس للتعريف^(١).

أول مراتب الايمان، الايمان بالله عز وجلّ.

يتوجّه السيّد الأمير(ق) في مراسلاته إلى اخوانه بالقول: أيها الخُلّة الاخوان الذين... تشرفّوا بزكاء أعمالهم بمعالم الإيمان، ويعبر عن تمجيد الخالق بعبارات جليّة، فيقول:

"الرب سبحانه معين من توجه اليه، ومنجّي من استند عليه، لأنه حاضر في كل مكان وزمان، وهو عادل عالم حاضر".^(٢)

كما يردد في كتاباته "هو رب المغفرة والاسعاف"، و"ولي الاعانة والتوفيق". "ومن آمن بالله اكتفى بالقيام بأوامره ومراده".

"وقيل أفضل الأعمال ان العبد^(٣) يرى الله معه حيث كان. واستعمال النعم في العصيان من أعظم الكفران".

(١) ﴿بِئْسَ أَتَى اللَّهُ لَإِلَهِ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه ١٤].

(٢) أشار القرآن الكريم، ﴿فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ هُوَ رَاقِبُهُمْ وَلاَ يَخْمَسُهُ إِلاَّ هُوَ سَاطِعُهُمْ وَلاَ أَتَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا أَصْغَرًا يُبَيِّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة ٧].

(٣) العبد: اسمٌ لكل مخلوق دلالة أنه تعالى المالك والسيّد، والإنسان هو المملوك والعبد الذي يجب عليه أن يحقق غاية وجوده بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات ٥١].

ويقول الأمير ناصر الدين التنوخي: "أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولا ضد له، ولا ند له، ولا آخر له، ولا أول له. شهادة من ذاق طعم شراب التوحيد وارتوى من ماء التجريد، وأكل من ثمار التّزّيه والتمجيد".

وفي كتاب آخر يقول الأمير ناصر الدين: "أما بعد فالقدرة والجلال والتوحيد، والتقديس والتسبيح والتفريد والتجريد، للمولى المتعالي عن الكيف والالين والنعته والوصف والزمان، والمكان والامكان، المقدّس من ان يدخل تحت حصر الأوهام والظنون بكان او يكون".

الإيمان بالملائكة

الملائكة هم رسل الله تعالى لتبليغ وحيه الى أنبيائه، وأعمالهم قائمة في الدنيا والآخرة^(١).

يقول السيّد الأمير (ق)*:

"أما رتبة الملائكة فما يبلغ اليها طالب، ولا ينال حدها راغب، وهي الاطلاع على المغيبات، والنظر الى شرائف الموجودات، وبث العلوم الالهيات والانبعاث في الأمور الروحانيات، والتصرف في الأسرار الخفيات وتدبير الكائنات، والصبر في مواجب العبادات على أعظم المشقات، فلا سبيل الى هذا المقام لأحد، مَنْ هم دونهم من كافة الخلق والأنام.

واعلموا ان الله تعالى خلق الملائكة عقلاً بلا شهوة، وخلق الحيوان شهوة بلا عقل، وخلق الانسان من عقل وشهوة، فمن غلب عقله شهوته كان أفضل من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله كان أشر من الحيوان... فاعتبروا أيها الاخوان، لطائف حكمة صنع الرحمن، في هذه المراتب التي ما فاتها قط إنسان، فكونوا مع أيها شتتم، غير ممنوعين ولا مجبورين فيما منها أردتم".

(١) أشار القرآن الكريم، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر ١].
(٢) في كتاب الى جماعة البلدان.

والملائكة^(١) سبق خلقهم خلق الانس والجن، ويختلفون عنهم كونهم مخلوقين من نور.

خصهم الله تعالى بصفات الكمال، واصطفاهم سبحانه لتدبير الكائنات وجعلهم رسله لتبليغ وحيه إلى أنبيائه^(٢) وبواسطتهم الى خلقه، يظهرون عند الحاجة بقدرته تعالى.

الإيمان بهم فرض واجب لا يصح لاحد الإيمان بدونه وهو الركن الثاني من اركان الايمان الستة.

متفاوتون في المنازل والفضل، بعضهم أعلى من بعض.

ومنهم ثمانية يحملون العرش يوم القيامة.^(٣)

وأكرمهم: جبرائيل وميكائيل واسرافيل.

جبرائيل: هو روح الملائكة وأولهم ورئيسهم وأزكاهم المنعوت بالروح الأمين، والروح القدس. وهو المختص بإنزال الوحي وأول من قال "سبحان ربي الأعلى".

الإيمان بالملائكة مدعاة للاطمئنان والرجاء، كما للخوف والحياء. وهم شهداء على أعمال العباد، وعلى أيديهم يكون الثواب والعقاب، وبهم ينصر الله أوليائه.

(١) ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى ٥].

(٢) الوحي هو كلام الله تعالى، يحمله الملاك المعين لإبلاغه للرسول في سر وخفية، لدعوة الخلق الى الهدى اي الدعوة لتوحيد الخالق ومعرفته ونشر علومه، وبيان حلاله والنهي عن حرامه، والبشرى بثوابه، والخوف من عقابه (حدود الله).

(٣) أشار القرآن الكريم، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [العرش ١٧].

الإيمان بالكتب المقدسة

هي كلام الله يوحى به الى رُسُلِهِ لِيَبْلُغُوهُ لِلنَّاسِ "بتأييده" هدىً ونوراً وسعادةً في الدنيا والآخرة.

الإيمان بالكتب السماوية كما نزلت هو الركن الثالث من أركان الإيمان. لم ينقطع عصرٌ مِنَ الْعُصُورِ عن الصلة بكلمة الهدى وبيّنات الفرقان المتضمنة "آياتٍ واضحات من الكتب الإلهية الهادية الى الحق، والفارقة بين الحق والباطل باشتغالها على المعارف الإلهية والأحكام العملية (روح المعاني). عبر الرسالات السماوية: التوراة والزبور والإنجيل والقرآن.^(١)

وتتضمن هذه المعارف قواعد الحلال والحرام وهي من حق الله وحده كما تتضمن امر الله ونهيه حيث يتوجب على الإنسان القبول والطاعة. ويقول السيد الأمير(ق): "فإن كنتم بالله آمنين، وبرُسُلِهِ مسدقين، وبكُتُبِهِ مؤمنين، وبرحمته واثقين، وفي شفاعته وليه طامعين، وللنصيحة محققين، وبالعهود متمسكين، وإماناتكم مراعين، ولأديانكم ذاكرين، لا يأخذكم الأسى على فوات جاه الدنيا المنقرضة، مع الثبات على الطاعة المفترضة".

(١) «اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم» [العلق ١-٥]، القرآن الكريم الحالي هو بالرسم العثماني مؤلف من ١١٤ سورة بين مكية ومدنية. أكبرها سورة البقرة وأصغرها سورة الكوثر، وهو مقسم الى سور وأعشار وأخماس وآيات وأجزاء.

وقد أمر الشيخ الفاضل (ر) بالحث على درس القرآن الكريم^(١) وقراءة ما تيسر من آياته قراءة صحيحة على يد شيخ مرشد مفيد، يهدي المريد الى طريق الخير. ولا صحة للتوحيد بدون التمييز بين الحلال والحرام في سائر الأعمال والمعاملات وقبول الأمر والنهي عن المنكرات.

(١) «الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ* أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [البقرة ١-٥]، «يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجُلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ» [الأعراف ١٥٧]، «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» [الطلاق ١]. «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» [محمد ٢٤].

الإيمان بالرسل والأنبياء

الرسول او النبي هو من يختاره الله ليحمل رسالته الى الناس ويُخبر ما أوحى اليه من ربّه. والتعريف المختار ان الرسول من أوحى اليه بشرع جديد كموسى(ع) والنبي هو مبعوث لتقرير شرع من قبَله كداود وسليمان(ع)، والإيمان بالرسل والأنبياء هو الركن الرابع من أركان الإيمان لأن بالرسل تقوم حجة الله على خلقه ويصح ثوابه وعقابه. (١)

يشير الأمير ناصر الدين التنوخي إلى كلام الله سبحانه وتعالى لِشِئْتِ عليه السلام، حيث أوحى إليه: "أنا الحقُّ والحقُّ أقولُ إني اصطفتُك حكيماً في الأرض. فسّر بيني وبينهم سيرةً يَحمدونها يومَ الحساب والعرض. واجدّ لهم الحدود وأوضِعِ التّوابعِ بين الأحكام. وافرق بينَ الحقِّ والباطل وبينَ الخطأ والصواب. ودُهمَ وسعَ طاقتهم عليّ. واسلُكْ بهم أوضَحَ الطريقِ إليّ". (٢)

ومن صفات الأنبياء اظهار المعاجز، وهي أمور خارقة للعادة يعجز غيرهم من البشر على الإتيان بمثلها، يظهرها الله على رسوله دلالةً على صدقه فيما ادّعاه. والقرآن الكريم يشير إلى المعجزة بكلمة "آية".

(١) اشار القرآن الكريم: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء ١٦٥]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الانفال ٢٤].
(٢) ﴿الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد ٨].

وهي أمّا ان تكون حسيّة محدودة بالزمان والمكان الذي حصلت فيه
كانتصار داود على جالوت وقلب مدائن لوط) وأمّا ان تكون عقليّة
حجة بالغة قائمة في كل العصور والأمكنة وعلى الأجيال المتعاقبة،
كالإخبار عن أحوال الأمم السابقة وعن أحداث غيبية مستقبلية.^(١)

لكن العلم المادّي للأسف لا يعترف بالمعجزات ولا يؤمن إلا بما
يراه، ويستطيع اختباره حسياً ويتجاهل القوى السماوية المسيرة لهذه
السُنن الكونية، ويقف أمام الظواهر الخارقة مندهشاً متحيراً.

كذلك من صفات الأنبياء الصادق والعصمة في تبليغ الرسالة وأنهم
لا يأخذون عليه أجراً.^(٢)

أنبياء الله كُثُر وأخبارهم تزيد المرء يقيناً وصلابة بالتوحيد، ويتأكد
من أن طريقهم وحده طريق السعادة الدائمة.

إن آدم عليه السلام هو أول من عرفه تاريخ الديانات المعروفة^(٣) وقد
سُمّي "أبو البشر"^(٤). ويقول الإمام جعفر الصادق(ع): اختار الله آدم
لسرهِ المكنون وعلمهِ المخزون، وهو نبي مرسل خَلَقَهُ اللهُ بيده، ونفَخَ
فيه من روحِهِ، وعَلَّمَهُ سبعين باباً من العلم، وسبعمائة لغة، وألَفَ
حِرْفَةً، وأنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير^(٥) وانه انتقل الى مكة
فبناها وعمّر البيت الحرام.

(١) ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف ١٠١].

(٢) اشار القرآن الكريم، ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود ٥١].

(٣) يكتشف العلماء يوماً بعد يوم ان العالم أقدم بكثير مما هو معروف في التاريخ المعاصر.

(٤) ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٣٤].

(٥) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾ [المائدة ٣].

تضمن الكتاب الكريم العديد من الآيات في ذكر الأنبياء وتفضيلهم
ووجوب طاعتهم: (١)

وقد شاد الموحدون في مختلف مناطقهم مزارات ومقامات لعدد من
الأنبياء العظام لبث الروح الإيمانية وتقوية العلاقة بالرموز النبوية.
ولغايات اجتماعية أهمها التبرك، والارتباط بالقيم والفضائل والأخلاق
الرفيعة.

وأهم المقامات: النبي أيوب - نوح الشوف، النبي هايل - سوريا،
النبي شعيب في فلسطين وآخر في لبنان. كما هناك مقامات لكبار
الأولياء. ويعتبر السيد الأمير عبدالله التنوخي (ق) في مقدمتهم بعد
الأنبياء الكرام، ومقامه في بلدة عبيه.

(١) ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّن الصَّالِحِينَ* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام ٨٣ - ٨٦] - ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ١٥١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء ٥٩] ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل ١٢٥] - ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس ١٢].

الإيمان باليوم الآخر

(الثواب والعقاب على أساس الأعمال)

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان. وقد ذكره علماء وشيوخ التوحيد "يوم الجزاء" أو "الوعد المحتوم" أو "الدار الآخرة" أو "يوم الدين"^(١). ويقول السيّد الأمير(ق): "وهو الحمد لله مغني من بالغ في القيام بقصده ومراده، وموفق من أخلص في الأعمال وانفرد لتحصيل زاده... وكان مراقباً ليوم الجزاء مستعداً لمعادِهِ"^(٢).
ومن أقوال أبي ذر (ر): "الدنيا ثلث ساعات، ساعة مضت، وساعة أنت فيها، وساعة لا تدري أتدركها أم لا، فلست تملك بالحقيقة إلا ساعة واحدة، فبادر إلى الطاعة في هذه الساعة".
ويضيف: "أن الحسد هو المفسد للطاعات، الباعث على أسباب الخطيئات، وانه الداء الذي يُبتلى به كثيرٌ من القراء والعلماء فضلاً عن الجُهاال حتى أهلكتهم".

(١) «مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ» [الفاتحة ٤].

(٢) أشار القرآن الكريم، «يَوْمَ تَجُذُّ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا» [آل عمران ٣٠].

على السالك أن يعلم ان عمره رأسه وأنه لا بد من يوم يحاسب فيه الناس ويجزون على الحسنات والسيئات. فإذا جاء البعث والنشور^(١)، ونصب الميزان، يُسأل كل أحد عن القليل والكثير، وعن عمره وفي ماذا أفناه، وعن جسده وكيف أبلاه، وعن علمه وما عمل فيه، وعن ماله ومن أين اكتسبه وفي ماذا أنفقه. لا ينفعه مال ولا بنون، وإنما ينفعه بُعدُه عن المعاصي والمحرمات، وخيرات نالها في الطاعات، وكلمة حق نطق بها، وقليل من خير أدّاه ومعروف أسداه. هو يوم قيامة الحق لإزهاق الباطل وتجد كل نفس ما عملت من خير وما عملت من سوء. وأما من صحّت عقيدته وحاسب في الدنيا نفسه، وصدق في أعماله وأقواله، وأخلص نيته في خطراته، فقد قلت ذنوبه وأبيضّ في الآخرة وجهه^(٢).

ومن أقوال السيد الأمير (ق): خير القنية^(*) للمعاد هو افراغ الجهد في الولاء^(*)، والثبات على التصديق والصفاء.

(١) من المتفق عليه أن البعث هو إحياء وإعادة تذكير ونشر أفعال الإنسان وأعماله في حياته السابقة التي عاشها، أما التباين فهو في المكان الذي تحل فيه الروح بعد مفارقة الجسد، والقاعدة الشرعية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الاسراء ٨٥]، وتشير بعض المذاهب الفلسفية الى انتقال الروح من جسد الى جسد، أو ما يُعرف بالتقمص، والاجتهاد في هذا السياق يستند لقوله تعالى في عدد من الآيات الكريمة منها: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة ٢٨]، ومنها قول النبي(ص): ما زلت انتقل اليكم من أصلاب المؤمنين الى أرحام المؤمنات الى يومنا هذا.

(٢) ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج ٧]. ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم ٣٩]، ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر ١]، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم ٤٢].

(*) القنية: الزاد.

(*) الولاء لله تعالى.

الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقدر هو تمام الإيمان بربوبية الله تعالى واسمائه وصفاته (الخالق - المالك...) والتصديق الجازم أنّ له الإرادة والمشية، وان مشيئة الله نافذة لا يردّها شيء، وقدرته لا يعجزها شيء، وما شاء كان وما لم يشأ لا يكون^(١)

يقول السيّد الأمير(ق): "من الأوامر الواجبة ان تسلّم الامر الى صاحبه وتصبر من الزمان على احواله وعجائبه"، ثم يقول: "الله يوفّق المخدوم^(٢) ويرزقه رضاه في دينه ودنياه، ويجعله من التابعين لأوامره، المتلقين أنعامه بالحمد، وبلاءه بالصبر^(٣)، وقضاءه بالرضى".

ثم يضيف: "لا تُدرَك المنازل العالية الا بالرضى والتسليم، ولا تنال المراتب العالية إلا بالتنحي عن كل غوي أثيم".

إن الانسان مسير في أشياء ومخير في أشياء. مسير أنه مسلوب الإرادة والاختيار على فعل شيء او تركه (ولادته - ابويه - شكله - موته). ومخير أنّ له الإرادة والاختيار على فعل الشيء وتركه، فيما يتعلّق بكل المباحات، وبكل ما أمر الله به ونهى عنه وعلى هذا يترتب الثواب والعقاب.^(٤)

(١) اشار القرآن الكريم، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير ٢٩].
(٢) المخدوم هو من يتوجّه إليه السيّد الأمير(ق) بالكلام، اسم لكل مخلوق دلالة أنه تعالى أوجد الدنيا وما عليها لخدمة الإنسان المخدوم.

(٣) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عُفْيِ الدَّارِ﴾ [الرعد ٢٤].

(٤) ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ﴾ [المتحنة ٤].

والقدر كله خير إذا نسب الى الله تعالى، لأن الخير يأتي من الله سبحانه وليس الشر، أما إذا نسب الى الناس فهو خير وشر من حيث تسمية الناس لما يرون فيه من منفعة او ضرر. والحقيقة ان ما يعتبره الناس شراً (موت - مرض - محن) فيه حكّم بالغة وجميعه لخيرهم. أمّا هم فقد يُقبلون على ما فيه ضررهم وهم لا يعلمون: (١)

- فالبلاء قد يكون امتحاناً واختباراً او تربية وتعليماً، أو تأديباً وتهذيباً، او تكفيراً للذنوب ...

- والله قدر خلق إبليس ليصحّ به الامتحان، وتمييز الخلائق، والثواب والعقاب. لكن بعد ان قدر خلقته لم يأمره بالمعصية ولم يدعّه لها بل على العكس من ذلك، فهو من اختار المعصية من تلقاء ذاته، وكذا كل من يفعل بها، فلا أحد مجبور عليها.

الايان بالقضاء والقدر لا ينفي سعي العبد، مع التوكّل على الله تعالى، والرضى والتسليم بمجاري الأقدار ان كانت له أو عليه، ساء ذلك أم سرّه. ثمرة الإيـان بالقدر: طمأنينة القلب وعدم القلق، والشجاعة والثبات في الأزمات، وتحويل المحن الى منح والمصائب الى أجر.

الإيمان بالقضاء والقدر هو خصلة من خصال التوحيد، ولهذا قطع الموحّدون النواح والندب في المآتم، ومأثورٌ في بعض الكتب المنزلة عن الله عزّ وجلّ: "من رفع صوته على جنازة فكأنما حاربني برمح".

(١) اشار القرآن الكريم، (وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة ٢١٦]، (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) [التوبة ١١١].

ويأخذ الموحدون أيضاً بأقوال بعض الحكماء: كل ما وقع بالفعل في الوجود فهو على أجلّ ما يكون من النظام. حتى ان المتسخّط لو اطلعه الله تَعَالَى على الإرادة الكلية لما اختار غير الواقع ولو كان في اختيار ذاته اختيار ممت.

الفصل الثاني: العبادة في التوحيد

عبادة الله دون إشراف

يقول السيد الأمير^(١) في كتابه للشيخ ناهض الدين: "انه لا امثال غير ما أمر به الباري جل وعلا"^(٢)، ومن المعلوم انه لا إكراه في الدين^(٣) وإنما الشرك بالله^(٤) ظلم عظيم للنفس، وإثم كبير للإنسان الذي كرمه الله، فخلقه وميّزه بالعقل والفكر والمنطق، وخصه بالتكريم والمحبة منه تعالى، فوجب عليه الايمان به وحده، لا يشرك به احداً، ويعتقد اعتقاداً راسخاً ان اليه المرجع والمصير.

وعن قوله عز وجل في بعض الكتب المنزلة: "مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا شَرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ"، ومن الحديث الشريف: "لا يَتَقَبَّلَ اللهُ عَمَلًا فِيهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ رِيَاءٍ".

ويؤكد شيوخ التوحيد أن العبادة الصحيحة اكتساب واجتناب. فيقول الشيخ الفاضل^(٥):

"العبادة شطران، شطر الاكتساب، وشرط الاجتناب، فالاكتساب فعل الطاعات، والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيئات وهو التقوى،

(١) وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴿الأعراف ١٧٢﴾، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص ٨٨].

(٢) [البقرة ٢٥٦] التزم التوحيد التخيير الإنساني الكلي، وهو تحرير الإرادة من القيد الجبر.

(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء ٤٨]، ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ لِآيَاتِهِ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت ٣٧]، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل ٨٣]، ﴿وَتَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف ١٩٨].

وَأَنَّ شَطْرَ الاجْتِنَابِ عَلَى كُلِّ حَالٍ اسْلَمٌ وَأَصْلَحٌ وَأَفْضَلُ وَأَشْرَفٌ لِلْعَبْدِ
مِنْ شَطْرِ الْاِكْتِسَابِ، وَلِذَلِكَ يَشْتَغِلُ الْمُبْتَدِئُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَةِ الَّذِينَ
هُمْ فِي أَوَّلِ دَرَجَةِ الْاجْتِهَادِ بِشَطْرِ الْاِكْتِسَابِ. هَمَّتِهِمْ أَنْ يَصُومُوا نَهَارَهُمْ
وَيَقُومُوا لَيْلَهُمْ وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَيَشْتَغِلُ الْمَشْتَغِلُونَ أَوْلُوا الْبَصَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْعِبَادَةِ بِشَطْرِ الْاجْتِنَابِ،
هَمَّتُهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا قُلُوبَهُمْ عَنِ الْمِيلِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَطُونَهُمْ عَنِ
الْفُضُولِ، وَالسُّتْهُمِ عَنِ اللَّغْوِ، وَأَعْيُنَهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَعْنِيهِمْ^(١)،
فَإِنْ حَصَلَ مِنْكَ الشُّطْرَانِ جَمِيعًا الْاِكْتِسَابُ وَالْاجْتِنَابُ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ
أَمْرَكَ وَحَصَلَ مُرَادُكَ وَسَلِمْتَ وَغَنِمْتَ^(٢)، وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ إِلَّا إِلَى أَحَدِهِمَا
فَلْيَكُنْ جَانِبَ الْاجْتِنَابِ فَتَسَلِمَ إِنْ لَمْ تَغْنَمْ وَالْاِخْصَرْتَ الشُّطْرَيْنِ
جَمِيعًا".

(١) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة ٨٢].

(٢) ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة ٢٥٧].

العبادة في الاكتساب

العبادة دون إشراك هو أساس التوحيد، وأصول الدين تخص القلب، وأما الفروع (صوم - صلاة ...) فهي فروع تتحرك ضمن جوارح الإنسان وإن كان لها علاقة بالنية والإخلاص.

ويقول السيّد الأمير(ق): **وَلَيْسَ تُبْلَغُ الْمَرَاتِبُ الْجَلِيلَةُ السَّنِيَّةُ، إِلَّا بِنِقَاءِ السَّرَائِرِ وَمَخْضِ الصَّمَائِرِ وَشَرَفِ الطَّوَيَّةِ، وَالاجْتِهَادِ بِحَسَبِ الْأَسْتِطَاعَةِ لِقُبُولِ الْأَمْرِ الرَّفِيعَةِ الْعَلِيَّةِ وَالصَّفَاءِ الْحَقِيقِيِّ وَالتَّوَكُّلِ الْيَقِينِيِّ وَالثَّبَاتِ الْكُلِّيِّ عَلَى وُجُودِ الْحَقِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ.**

ومن نصائح الشيخ الفاضل(ر) المجاهدة في العبادة، ومن مختصر أقواله: "كونوا من المجاهدين... وهُمُ الَّذِينَ هَذَبُوا نُفُوسَهُمْ، وَجَرَدُوا عُقُوبَهُمْ، وَصَفَّقُوا بِصَائِرِهِمْ، وَنَقَّوْا سَرَائِرَهُمْ وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ تَعَالَى صَمَائِرَهُمْ. وَحَاسَبُوا نُفُوسَهُمْ وَأَمَاتُوا شَهَوَاتِهِمْ، وَلَا زَمُوا قَرَعَ الْبَابِ الْكَرِيمِ، وَقَصَدُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، إِلَى لِقَاءِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ. أَهْلِ التَّقَى^(١) وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَالْآدَابِ، جَالَتْ عُقُوبُهُمْ فِي مِيَادِينِ التَّوْحِيدِ، وَطَرَقَتْهُمْ طَوَارِقُ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْهِيدِ"، "وقد وصفهم الملك العلام:

(١) الْمُتَّقِي مَنْ إِذَا قَالَ اللَّهُ وَإِذَا عَمَلَ اللَّهُ، الْمُتَّقِي الَّذِي اتَّقَى الشَّرْكَ وَبَرَّئَ مِنَ النِّفَاقِ، وَالتَّقْوَى فِيهَا جَمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَهِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَيُسْتَدَلُّ عَلَى تَقْوَى الْمَرْءِ بِثَلَاثِ خِصَالٍ حَسَنٍ التَّوَكُّلِ فِيْمَا لَمْ يَنْبَلْ، وَحَسَنِ الرِّضَى فِيْمَا قَدْ نَالَ، وَحَسَنِ الصَّبْرِ عَلَى مَا قَدْ فَاتَ. وَفِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة ٢٧].

"رَفَضُوا الْوِسَادَ، وَحَالَفُوا الشَّهَادَ، بِالنَّهَارِ صِيَامٌ"^(١)، وَبِاللَّيْلِ قِيَامٌ، تُسَرُّ بِمُشَاهَدَتِهِمْ مَلَائِكَتِي وَتَشْتَاقُ إِلَيْهِمْ جَنَّتِي، قُلُوبُهُمْ خَزَائِنُ مَعْرِفَتِي .
 يَا نَبِيَّ، أَوْلَيْكَ خَاصَّةٌ أَحْبَابِي، الْقَائِمُونَ بِيَابِي، الَّذِينَ يُنَاجُونِي
 وَأُنَاجِيهِمْ، وَيَرْكَبُونَ إِلَيَّ الْأَخْطَارَ فَأُنَجِّيهِمْ، قَدْ ارْتَفَعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
 حُجُبُ الْاِحْتِجَابِ . فَسِوَاءَ عِنْدَهُمُ النِّعِيمُ وَالْعَذَابُ"^(*).

ويشدّد الشيخ ناصر الدين التنوخي في كتابه الى بعض نواحي البلدان "الحض البالغ على إقامة الصلوات^(٢) وإيتاء الزكوات والصدق والصدقات وترك الزينات والربا والمحرمات، واجتناب الشهوات والشبهات". وفي كتاب آخر يُحذّر من المتخلفين عن الأوامر "خصوصاً من لم يجتهد على دراسة العلم وعمارة المساجد وملازمة الصلوات وإيتاء الزكاة والصدق والصدقات وعمارة بيوت الطهارات".

وقد أمر الشيخ الفاضل (ر) بمعرفة الفرائض الإلهية والمواجب الدينية كذلك أمر على معرفة الوضوء ونواقضه، ومعرفة الصلاة ومبطلاتها.

(١) الصَّوْمُ وما يعنيه من الإمسāk عن الطَّعامِ وَالسَّرابِ وَالجمَاعِ وما يجري مجرى ذلك في شهر معلوم، (رمضان كريم)، هو فرضٌ في الشَّرْعِ، وعن لسان الله تَعَالَى: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي". وذكر أهل الفضل من الأوائل بأنَّ "الصَّوْمَ على ضربين: صَوْمٌ ظاهر، وهو الإمسāk عن المفطرات مصحوباً بالثَّبَةِ، وصَوْمٌ باطن، وهو صَوْنُ القلبِ عن الآفات، وضبط الجوارح، وقد جاء في الكتاب الكريم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة ١٨٣].
 (*) في دار الدنيا.

(٢) أشار القرآن الكريم، ﴿الَا بَذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد ٢٨]، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُعَدُّوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة ١١٠].

ويقول في باب الصلاة:

"إنها أمر رب العالمين". وتشريع سيد المرسلين...، وهي موجبة محتمة على كل عاقل ديان. ممن تأسم بسمه الدين من الرجال والنسوان. وثوابها جزيلاً...، ومن أتعب نفسه مدة قليلة. نال فرصة طويلة. ومن خالف امر الله ورسوله فقد عصى وحاد وكان من أمره في شك مُتَمَادٍ".

كما يشدد الموحدون على مداومة الذكر الحكيم. (١)

أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، لهذا قال بعض الصالحين: إني لأستحي من الله أن يراني مشغولاً عنه، وهو مقبل عليّ، وقيل لا طابت الدنيا إلا بذكره، ويقول السيّد الأمير (ق): إنه على العبد أن لا يتغافل عن شكر المنعم بل يواظب أمد الساعات واللحظات على الحمد والشكر.

وقد أوصى السيد الأمير (ق) في كتابه للشيخ عبد القادر رِيَّان (٢) ان يكون الذِّكْرُ أنيسه وقال: "والمخدوم يجعل أنيسه في غربته التي هي في الحقيقة غير غربة تلاوة كتاب الله العزيز لأنه يكشف الكربة ويؤنس في الوحدة، ويلهم العصمة، وينهج (*) النعمة، ويستنزل الرحمة". والسعي المشكور شرطه التوبة ورد الحقوق الى أصحابها والتقوي بلقمة الحلال.

(١) قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَنْكُرْتُكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة ١٥٢]، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الاعراف ٢٠٥].

(٢) قول السيّد الأمير (ق) جاء للشيخ ابي عبد القادر رِيَّان وهو في طريقه الى الحج، ودعا له بالتوفيق وأظهر مشاعره الصادقة نحوه فقال: "يغبطه المملوك ويفرح له بهذا الحج المبرور والزيارة السعيدة والمجاورة للمحلّ الشريف". وقال: "فما ينبغي للعبد في دار الدنيا الفانية إلا تجريد العزائم عن كل ما سوى الحق تعالى"، جاء في الكتاب الكريم: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش ٣]، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالِ اللَّهُ لِحُومَهَا وَلَا يَمُوتُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّفْسُ مِنْكُمْ﴾ [الحج ٣٧].

(*) ينهج: يبيّن أو يوضح.

وفي الزكاة،

فالله تَعَالَى جعل الزكاة من البرِّ والإيمان. روي ان رجلاً جاء الى أبي ذر (ر) فقال له ما الإيمان؟ فقرأ عليه هذه الآية: (ليس البر ان تولوا وجوهكم) حتى فرغ منها. فقال الرجل: ليس عن البر سَأَلْتُكَ. فقال أبو ذر (ر): جاء رجل الى رسول الله (ص) فسأله عما سأَلْتَنِي عنه فقرأ عليه هذه الآية^(١).

وقيل زادك الى المعاد احسانك الى العباد.

يعتبر الموحدون انطلاقاً من الاختيار الإرادي وإعطاء الحرية للمرء في المفترضات والواجبات والأعمال، باعتباره مسؤولاً عن تصرفاته، فهو مسؤول عن صرف ماله، وأزكاه الصدقة على اخوانه، فالصدقة والإحسان من جملة الأعمال الصالحة.^(٢)

جاء في الحديث الشريف: "لَئِنْ يَتَصَدَّقَ الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ بِدِرْهَمٍ، خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ عِنْدَ مَوْتِهِ بِمِائَةِ". والصدقة تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا تُطْفِئُ النَّارَ الْحَطْبَ.

(١) قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة ١٧٧].

(٢) جاء في الكتاب الكريم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُبْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٦١]. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ الْمُؤْمِنُونَ*الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّعْوِ مُعْرِضُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون ١-٥].

وقيل: أوجد المال ليصرفه المرء على عوز نفسه وأوده، وعلى المحتاجين من اخوانه^(١). وكما فرض على الأغنياء الصدقة^(٢) فرض على المحتاجين الاقتصاد والصرف بمقدار الحاجة. وأعظم ما حرّم مذهب التوحيد في المال الربا بكافة أنواعه.

النوايا الخيرة:

جاء في الحديث الشريف: إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرئ ما نوى. واعتبر السيّد الأَمير^(٣) أن تطهير النيّة من الفساد هي مقدمة الإخلاص والشكر لله تَعَالَى. "وسئل بعضهم هل يستطيع العبد أن يعمل البر في كل وقت؟ قال: نعم. لأن لا بَرَّ أبلغ من الإخلاص في الشكر لله تَعَالَى. وتطهير النيّة من الفساد". "فحسن النوايا في خطرات العبد هي أساس الانطلاق في مسلك التوحيد".

(١) «وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ» [سورة الأَحْزَاب ٦].
(٢) «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ» [التوبة ١٠٣].

الفصل الثالث: الإنسان في مذهب التوحيد

الإنسان أشرف المخلوقات^(١)

يقول السيد الأمير(ق) في كتابه الى جماعة البلدان "ومن منحه الله بالقبول والترقي والعروج الى حد الإنسانية. كان من ثمرة أفعاله العقل والحلم والسكون (التواضع) والرزانة والرجحان، والعفاف والصيانة والنزاهة والنظافة. والطاعة والطهارة ومكارم الأخلاق. والزهد في المطالب الدنياوية والخوف والمراقبة والثبات على الأوامر والتزام النواهي، والصبر والاحتمال والغضو عن بلوغ الأغراض، والانبعث بكلية الجهد في التطلع الى رياضات العلوم البسيطة والتلمّح من إشارات مضمون معانيها، والمبالغة في العمل بأوامرها، والانتهاز عن نواهيها، والبحث والاستكشاف عن أصول مبانيها، القائمة بالفروض الواجبات، والسنن المشروعات. فهذه درجة الانسان التي تتبعها السلف الصالح من أهل الفضل والأخوان".

ويقول السيّد الأمير(ق) في رسالة الى الشيخ عبد القادر ريان: "ومن المعلوم الصحيح أنه لا يترقى "العبد" إلا بعد التقي. ولا يتصل الا بعد الفراق (أي ترك المنوعات). ولا ينطبع في جوهر العبد مشاهدة الخلاق. الا بعد تهذيب الأخلاق. وتهذيبها هو انصرافها عن كل ما سوى الله تعالى".

(١) «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» [الاسراء ٧٠].

ويشير السيّد الأمير(ق) في رسالته لمشايخ آل سليمان الى صفات المؤمن فيقول: "من عرف الله حق معرفته، ووحدَهُ ونزّهَهُ بمقدار رتبته، ثم عرف أبواب رحمته... الموصولين الى جنته...".

والمأثور من كلام الحكماء الديانين. "انه من أمضى يومه في غير حق قضاه. او فرض أداه، أو مجد أثله، او حمد حصّله، او خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عاق يومه وظلم امسه".

وقيل: "إن باب الجنة له مفتاح والمفتاح كلمة التوحيد. وله أسنان أربع لا يفتح الباب الا بالمفتاح بأسنانه، فالسن الأولى تطهير القلب من الخبث والخيانة. والسن الثانية تطهير اللسان من الكذب والنميمة. والسن الثالثة تطهير البطن من الحرام والشبهة. والسن الرابعة تطهير العمل من الرياء والبدعة. فإذا صح للعبد هذا المفتاح بأسنانه انفتح الباب ودخل الجنة وشاهد العظمت. ما لا اذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر".

إنّ الانسان الحي الناطق هو أشرف المخلوقات^(١)، فهو العاقل بما فيه من العقل وهو الحي بما فيه من النفس، وهو القادر على النطق والكلمة وهو المتحرك بما أقدم ويقدم عليه من سابق وتالي الأعمال. وعلى الانسان مسؤولية تجاه نفسه ومسؤولية تجاه خالقه ومسؤولية تجاه مجتمعه^(٢).

(١) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ﴾ [التين ٤]، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة ٩].
(٢) ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق ١٨]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الانسان ٣].

على الإنسان أن يتذكر دائماً نِعَمَ الله عليه التي لا تُعدّ ولا تُحصى^(١)
وأهمها أربعة:

أولاً: نعمة الوجود من العدم: شاء الباري سبحانه وتعالى بحكمته
الباهرة إيجاد الكائنات كلها بإرادته وأمره بكلمة كُنْ^(٢)، فكان الوجود
على أتم ما يكون من النظام والإدارة ولأنه سبحانه مقدسٌ في علو مجده
عن المباشرة للخلق بالذات شاء أن تكون إرادته هذه ذاتها هي الحاكمة
لهذا الكون وهي التي تعقله عقلاً وتضبطه وتخضعه لإدارة ونظام بكل
دقة لا يجيد عنهما، والمشهور أنه لو أهمل الله سبحانه الكون طرفة عين
لتلاشى واضمحَلَّ، فلا قيام ولا بقاء لهذا الكون كله إلا بهذه الإرادة
الفعّالة.. لذا فقد وجب الطاعة الكلية والخضوع المطلق لها.. سبحانه
وتعالى عمّا يصفون. وجاء في الحديث الشريف: "أول ما خلق الله تعالى
العقل فقال له اقبل فأقبل، فقال له أدبر فأدبر، فقال تعالى بك أعطي
وبك أمتنع"^(٣). [الغزالي].

ثانياً: نعمة العقل: يستخدمه الإنسان وحده لما فيه خيره وخير البشر،
وعليه أن يحمّد خالقه على نِعَمِهِ ويطيعه، ويعبده، والعقل بالنسبة
للموحّدين هو البصيرة القلبية المختصة بالمؤمنين.

(١) «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» [الضحى: ١١]

(٢) كما جاء في الآية الشريفة «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [يس ٨٢].

(٣) يشير المعنى الفلسفي اللاهوتي للعقل الأرفع بأنه العلة الأولى للخلق [مبدأ السببية].

ثالثاً: نعمة العلم: أنزل الله سبحانه وتعالى الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط. يقول السيّد الأَمير(ق):(*)"الواجب على العبد ا فراغ الجهد في تحصيل العلم، ثم يعمل بالعلم، ثم يستعين بالله سبحانه في تحصيلها، ثم يؤمل الوصول بالعناية الأزلية، فهذا طريق الحق والوصول... كما قال في كتابه العزيز: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، فالعبادة من العبد والإعانة من الرب، وباجتماع العبادة والتوفيق يصل العبد الى الكمال الحقيقي، والصراط الدقيق".

قال بعضهم: "أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم، وأعلم الناس من يعمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله".

وقال بعض العلماء: "ليكن الطلب (للعلم) طلب دراية لا طلب رواية، فمن طلب العلم ليصرف به وجوه الناس إليه، ويجالس به الامراء، ويباهي النظراء، أو يتصيد به الحُطام، فتجارته بائرة وصفقته خاسرة".

رابعاً: نعمة الإيمان والهداية: وبها بدأنا هذا الكتاب.

(*) في مكتبة الشيخ أبي عبد القادر رِيَان.

العقل

يطلق الموحّدون الدروز لقب العقّال على من وَعَا عن الله أمره ومَهْيَهُ وَعَمَلُوا بِمُرَادِهِ تَعَالَى، وعلى مَنْ تَبَصَّرُوا غاية وجودهم وآمنوا ان العقل يجب ان يتوافق مع الشرع، ويتضمن الكتاب الكريم آيات واضحة بهذا الشأن.^(١)

العقل بالنسبة للموحّدين، هو في المحل الأرفع يقترن بالشرع الحق ويقود الإنسان بنوره. فمن أقوال السيّد الأُمير(ق) المقتطفات التالية:

"فالذي يثبته البرهان والنقل، وحكم به علم البيان والعقل، انه لا راحة في الآخرة لمن تعجّل الراحة في الدنيا".

"الذي يوجهه العدل ويقضي به ويقطعه العقل حسب ما برز من الأوامر الواجبة، والموجب اللازمة أن تُراعي الذمة، وتُربط على الكلمة، ونحفظ حق النعمة، وتُداري الأُمَّة".

"نظر العاقل روحاني لطيف، ونظر الجاهل جسماني كثيف".

"وينبغي على العاقل ان يجعل همته مصروفة الى دار الآخرة".

"فلا محنة أشق في هذا الزمان من موت العقل والجنان".

"قيل أي الرّجل العاقل، قال: العاقل هو البصير بما يحتاج إليه في أمر معاده".

"وقيل من أتاه الله سعة في الفهم وقوة في العقل فقد أتاه السلطان

الذي يملك به نفسه".

(١) ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام ٣٢]، وأيضاً ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ٢٤٢]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف ٢] - ﴿ثُمَّ عَلَى ثَوْرٍ يَهْدِي اللَّهُ لثَوْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور ٣٥].

ويتابع السيد الأمير(ق) فيقول(*):" اعلّموا ان المناظرة في الشرور والمكاييد هي مولود الجهل، والجهل مولود الكبر، والكبر مولود الظلمة. والظلمة بدعة ابليس. والغضو عن المكاييد والكف عن الأذى والاحتمال للمكارة مولود الحلم، والحلم مولود العلم، والعلم نتيجة العقل، والعقل خزانة العبادة، والعبادة غرض الرب. فالمرء العاقل إذا حَمَلَ صبراً، وإذا أكرم اعتذر، والحر أُولَى من غَفَرَ".

فيكون الغرض من أشرف المخلوقات العبادة. وبهذا جعل السيّد الأمير(ق) العقل شرطاً لارتقاء النوع البشري الى حدّه الإنساني. هذا الارتقاء لا يتم إلا بضبط النفس باتجاه الخير المطلق. ويقول السيّد الأمير(ق) (*) عن ابي يزيد البسطامي: "ان بين العبد والمعبود خطوتين لا غير":

"إحداها انه يستعين بنور الله وعونه، ويمحق ظلمته وشهوته وغضبه، فإذا تجرّدت النفس من ذلك صارت نيرة جوهريّة، صافية نقيّة عالمّة مضيئة، ثمّ تخطو الخطوة الثانية وهي اتصالها بباريها واتحادها بأنوار عظمتها، وكمال التذاذها بجماله وجلاله، وهذا هو الدين الصحيح. فالخطوة الأولى تنقية النفس وتصنيفتها بعون الله سبحانه، والخطوة الثانية عودها الى مشاهدة باريها، واتصالها بحضرة تَعَالَى، وانغماسها في توحيده وانجبالها على محبته وأنواره، فحينئذٍ يصير عقلاً صافياً، ونوراً إلهياً، وهذا هو الكمال الحقيقي للجوهر الأنسيّ".

(*) في مكاتبة جماعة البلدان.

(*) في كتاب الشيخ أبي عبد القادر رِيَان.

وجاء في الكتاب الكريم ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١)، واللب هو القلب والعقل معاً.

وجاء في تفسير "أولوا الألباب"^(٢) انهم "ذوو العقول المجلوة عن شوائب الحس والوهم" [البيضاوي].

ويتبين من مواعظ الشيخ الفاضل^(٣) أن القلب يشمل العقل، والبصيرة، والنية الطيبة، وجاء من مختصر اقواله بهذا المعنى:

"فعليك بحفظ القلب وإصلاحه وتطهيره وبذل المجهود في ذلك، وأذكر أربعة أشياء، الأول قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٥). والثاني قول النبي^(ص)، إن الله لا ينظر الى صوركم وابدانكم وإنما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم، فالقلب إذاً موضع نظر رب العالمين. الثالث ان القلب هو الأصل والمركز، والجوارح كلها تبع له، وإذا صلح المتبوع صلح التابع. والرابع إن القلب خزنة كل جوهر نفيس للعبد، أولها العقل وأجلها معرفة الله تعالى التي هي سبب السعادة في الدارين، ثم البصيرة الشفافة التي تُدرك الأشياء وبها التقدم والوجهة عند الله تعالى، ثم النية الخالصة في الطاعات التي بها يكون ثواب الأبد".

(١) [الرعد ١٩].

(٢) ﴿الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر ١٨].

(٣) [غافر ١٩].

(٤) [النساء ٦٣].

النفس ومعرفتها

لا يصل المرء الى معرفة الله إلا من خلال معرفته لنفسه، وفي الحديث: "من عرف نفسه عرف ربه".

يقول السيد الأمير(ق) انطلاقاً من خلود النفس الإنسانية: "اعلموا ان الدنيا ميدان والاجسام خيل والنفوس فرسان والسباق هو الى الله". كما يقول: "فما يلحق بالقوم^(١) ألا من شمّر ولا يباري في حلبة السباق إلا من ضمّر^(٢)، ففي الجدد والعزائم تحصيل الغنائم".

ويضيف: "إذا جرّد العبد نفسه من الشوائب وصفّاها من المعاييب وتوكل عليه حسب التوكل، وطرح نفسه بين يديه بلا حول ولا قوة، فهو يرحمه ويرشده من كل بد، ويمدّه ويسدّده ويعينه، لأنه معه حيث كان، فإذا تجرّدت النفس من ذلك صارت نيرة جوهريّة صافية، نقية، عالمة مضيئة". كما ذكر "إذا لم يحاسب المرء نفسه في صغير ما يخطر بباله وكبيره، ولم يفتش عن أحواله كلها، ولم يقهر هواه بعقله، كيف يسلم من خديعة عدوه^(٣) الذي هو معه لا يفارقه طرفة عين".

وقال في مكاتبة جماعة البلدان: "من فارق الشيطان حظي بشفاعته الرسول، ومن خالف النفس بلغ المأمول، ومن ترك الهوى أدرك المحصول".

(١) أي الرجال الصالحون السابقون الذين جدّوا واجتهدوا في أمر الله [السلف الصالح].
(٢) رجلٌ ضمّر أي نحيف الجسم. ظاهرها من قل لحمه وخف وزنه، وحقيقتها من ثقل من مقتنيات الدنيا وشهواتها.
(٣) أي النفس الأمارة بالسوء. ووساوس الشيطان.

كيف فسر التوحيد معرفة النفس؟

إن النفس الإنسانية منقسمة الى فرعين أساسيين متساويين: النفس المطمئنة العاقلة القابلة لتلقي الخير والعمل بموجبه، والنفس الأمارة بالسوء (أو الضدية) القابلة لتلقي الشر، المهتدة بحبائل ابليس. مساواة الخير والشر في النفس الإنسانية والمضادة بينهما هما من حكمة الباري وعدله جلّ وعلا: أولاً لإثبات قوله تَعَالَى: ﴿انه ليس كمثله شيء﴾^(١). وثانياً هي السبب لقانون التفاضل الذي يميّز الفاضل والمفضول في مراحل الحياة علماً وعملاً. من هنا يبدأ التخيير في الأعمال والمحاسبة عليها^(٢). وهذا الصراع الكبير يؤدي منطقياً الى قيام علاقة صدامية بين قسمي النفس، ويفرض عليها القتال الحتمي بينهما مع الاستعانة بمزايا العقل. والعمل اليومي للإنسان خاضع في كل لحظة الى معايير الخطأ والصواب. ويتوجب المراقبة الذاتية الدائمة للنفس كي لا تحيد عن الخط المرسوم للفضيلة لأن الفضيلة والتقوى عند الموحّدين (الدروز) هما مسلك دائم في تصرفات الموحّد، يرافقه في كل حركاته وسكناته. يقول السيد الأمير(ق): "الْعَدْلُ قَائِمٌ بِوُجُودِ النَّاقِصِ وَالْكَامِلِ، وَالْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ... وَالكَرِيمِ بِإِلَهِهِ، وَالْحَكِيمِ بِحِكْمَتِهِ وَأَفْضَالِهِ، وَالْعَاقِلِ بِصَبْرِهِ وَاحْتِمَالِهِ.."، ويضيف: "لم يبلغ التمام، من لم تكن سيرته على نظام".

(١) [الشورى ١١].

(٢) ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة ٧-٨].

كما يقول: "إن حياة الأنفس هي الحياة الدائمة".
ويضيف: "الحكمة والمعرفة الصحيحة لله سبحانه وتعالى ما تستقر إلا
في نفسٍ صارت كالتراب بالتواضع والحلم والاستغفار".
ويشدد مذهب التوحيد على الوثوق بجوهرية النفس البشرية
وخلودها ومقاصاتها يوم الحساب الأخير.
وقيل إن الإنسان لا يستطيع ان يحقق إنسانيته إلا في اللحظة التي
يضبط فيها نفسه، وهي لحظة انتصار الإنسان على هواه وعلى شهواته
بفعل إرادته.

قيل في النفس^(١):

"يا نفس تيقني وخذي معرفة الأشياء بأينياتها وماهياتها، ولا تحفلي يا
نفس بمعرفة كيميائياتها وقدرها"، "واعلمي أن الإنسان لم يُخلق لمعنى من
المعاني إلا للعلم والعمل به".
كما قيل:

يا نفس هبي فيما في الكون الاكِّ معنى الوجود تضاءل تحت معنالك
لولاك ما خلق الرحمن من عرض ولا تكونت الأفلاك لولاك
ولا بد من التذكير بأن الجسد خادم النفس بجوارحه وكل ما ينفع الجسد
حلال وكل ما يضر به فهو حرام، كالخمر والتدخين والمخدرات وما شابه.

(١) «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا نُوسَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» [ق ١٦] «وَمَا أَبْرَأُ
نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ» [يوسف ٥٣] «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» [الأعراف ٤٢] «اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَاءَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرَكُونَ» [الروم ٤٠].

مسؤولية الموحد

يقول السيّد الأمير(ق): "ان العبد مطالب بثلاث: ... نَفْسٌ^(١) يمضيه بغير محل الرضى، ولحظاً^(٢) يلحظه في غير اعتبار في تصاريف القضا، ونطقاً^(٣) ينطق به في غير سبيل الرضى".

وأضاف: "يقبح بالعالم البصير أن يأتي بأفعال الجاهل الضرير".
وقيل: "التوحيد لا يخفى على أحد ولكن ما يغلو من الجواهر يؤخذ بثمن، والثمن يسير على أصحاب العزائم والنباهة، وهو في تقويم السلوك وتهيئة النفس والانتفاع من هذا الجوهر الذي ستحصل عليه"،
وقيل: "ما أنفع الشمس للأبصار الصحيحة، وما أضرها بالحسيرة"^(٤).
التوحيد هبة لكل مريد، وحكمة لكل مستفيد، فمن أصلح أرضه ونقاها وأعدّها لها الري والغذاء نمت أغراسها، وجاءت بأطيب الجنى.
هكذا التوحيد، لا سر فيه أمام المخلصين، ولا سدود تمنع من غوص الغائصين، لحيازة الدرّ الثمين، من رغب في سلوك التوحيد عليه قَبْلَهُ أن يطهّر قلبه من الهوى والشهوات كما ذكرنا. فمن استرخص هذا الثمن بلغ ذلك الأرب، ومن جمحت به النفس أعياه القصد.

وفي مسلك التوحيد قاعدة مهمة عدم الحكم على البواطن والظن إنما

على بروز الأفعال.^(٥)

(١) (كل شهيقة وزفير للإنسان) تمضي في تصرف وعمل بغير رضى الله.
(٢) نظرة العين للحظات أو ثوان) والاعتبار (النظر في أحوال الدنيا كالموت والحياة والاعتاظ منها).

(٣) نطق أي كلام مهما كان قليلاً أو كثيراً بغير ذكر الله ورضاه.

(٤) الحسيرة: ضعيفة النظر.

(٥) ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات ١٢].

الفصل الرابع

العبادة بالاجتناب

الصدق في التوحيد:

أول الخصال التوحيدية وأهمها عند الموحّدين هي صدق اللسان، والصدق أمر به الله تعالى^(١) ويُنقل عن هرمس الحكيم(ع) قوله: أجلّ المواهب الإلهية أربعة وهي: النطق بالصدق، والحكم بالحق، والرضى بالقضاء، والصبر على البلاء. والشيخ الفاضل (ر) خاطب الموحدين بقوله: أيها الأخلاء والإخوان المحبون الصادقون والأعوان.

وقيل من كان الصدق وسيلته، كان الرضى من الله تعالى جائزته. والصدق يوجب المصافاة وهو ضرب من ضروب الأمانة، والكذب خِلَّةٌ من خلال المهانة، وضرب من ضروب الخيانة والجحود.

والصدق بمعناه الشامل بعد الإيثار بوحداية الله سبحانه وتعالى وتصديق أنبيائه وأوليائه هو ان تتحرك جوارح الانسان بما يرضي الله وينفع الغير. فهذه الآلات السبع في الجسد: العين، الأذن، اللسان، البطن، اليد، الرجل، والفرج^(٢) هي مصدر للمبرّات ومصدر للآثام، واللسان في طليعتها.

(١) «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» [سورة التوبة ١١٩].
(٢) صدق الجوارح بابٌ مهمٌ من أبواب الصوم.

يقول الشيخ الفاضل^(١) في اللفظ: "وهو جارحة اللسان.. فَإِنَّهُ أَشَدُّ الْأَعْضَاءِ جَمَاحًا وَطُعْيَانًا* وَأَكْثَرَهَا فَسَادًا وَعُدْوَانًا* فعليك إِذَا بِحَفْظِهِ وبذل المجهود* وتذكر ما روى أبو سعيد الخدري أَنَّ ابن آدمَ إِذَا أَصْبَحَ بَكَرَتِ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا إِلَى اللِّسَانِ وَقُلْنَ نُنْشِدُكَ اللهُ أَنْ تَسْتَقِيمَ* فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا* وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا والمعنى في ذلك والله أعلم* إِنْ نُطِقَ اللِّسَانُ يُوْثِرُ فِي أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ* بالتوفيق والخذلان".

ويضيف: "إِنَّ مَنْ لَمْ يَصُنْ لِسَانَهُ وَأَكْثَرَ الْكَلَامَ يَقَعُ لَا مَحَالَةَ فِي غِيبَةِ النَّاسِ، فَتَذَهَبَ عَلَيْهِ أَعْمَالُهُ، لِأَنَّ الْغِيبَةَ هِيَ الصَّاعِقَةُ الْمُهْلِكَةُ لِلطَّاعَاتِ". وكذلك "إِنَّ النَّوْمِيَّةَ، معصية الله تَعَالَى وهي من الخصال الرديئة، وَمِنْ ثَمَرَتِهَا أَنهَا تُوَعِّرُ الصُّدُورَ، وَتَفْتَحُ الشُّرُورَ وتوصل الى عظام الأمور".

وصدق اللسان التزامه بترك الكلام فيما لا يعني^(١)، قال بعضهم، الكلام أربعة أقسام: قسم ضرر محض، وقسم نفع محض، وقسم فيه منفعة وضرر، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة، أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة، لا تفي المنفعة بالضرر، أما الذي لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول، فلا يبقى الا القسم الرابع وهذا الربع لا يخلو من خطر عدم الدقة.

(١) «لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا» [النساء ٤٨]

وصدق العين، غَضَّ الطرف وترك النظر الى المحظورات.^(١) ولقد روي أَنَّ الْعَبْدَ لِيَنْظُرَ النَّظَرَ يَنْغُلُ فِيهَا قَلْبُهُ كَمَا يَنْغُلُ الْأَيْدِيمُ فِي الدَّبَاغِ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ أَبَدًا. وقيل شعراً:

كل المطامع مبادها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة أثرت في قلب صاحبها مثل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ساء مهجته لا مرحباً بسرور جاء بالضرر.

وصدق الأذن ترك الاستماع لأهل البدعة والغفلة والغيبة. وقيل إن المستمع القابل شريك القائل، إن خيراً أو شراً. ولكي لا يسمع ما يؤذي يجب الابتعاد عن معشر السوء وموطئ الرذيلة ومثار الشبهات.

يقول الشيخ الفاضل (ر): اعلم ان الكلام الذي يقع في قلب الإنسان وسمعه* بمنزلة الطعام الذي يقع في جوفه فمِنهُ الضَّار* وَمِنهُ النَّافِعُ* وَمِنهُ الغِذاءُ وَمِنهُ السُّقْمُ* بل ان بقاء الكلام وَتَجَرُّعُهُ أَكْثَرُ وابلغ من الطعام* فَإِنَّ الطَّعَامَ رُبَّمَا يَبْقَى أَثَرُهُ زَمَانًا ثُمَّ يَزُولُ* وله دواءٌ يزيل أثره من جسم الإنسان* وَأَمَّا الكلامُ الذي وقع في قلب الإنسان رُبَّمَا بَقِيَ مَعَهُ جَمِيعُ عُمُرِهِ وَلَا يَنْسَاهُ.

(١) ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ وَبِحِفْظِهَا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور ٣٠].

وصدق اليد ترك الأذى كالبطش والسرقة، وعدم التبذير والهدر،
واليد هي مطية القلم، والقلم لسانٌ ثانٍ للإنسان، واليد مطية الفكر
أيضاً تبرع بتوقّده وتُشَلِّ بخموله.

وصدق الرجل ترك السعي الى حرام ومعصية وفي ما لا يثمر خيراً.
وصدق القلب دوام النظر في ما مضى. والندم على ما فرط والتوكل
على الله تَعَالَى في ما بقي، ولا صلاح للمرء إلا بصلاح قلبه.^(١) ومرتبته
العُليا الصدق في التقوى وَهُوَ أَنْ يَسْتَوِيَ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، وَخَوْفُهُ
وَرَجَاهُ.. وَيَسْتَوِيَ عِنْدَهُ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ، وَالْمَنْعُ وَالْعَطَاءُ...

أما البطن، وهو اللجة التي يسعى الضالون ان يتخموها ويشحنوها
طمعاً وجهالة. انه أَلْف الأناية وياؤها. إذا أحسنّا عطاءه سلم لنا
وسلمنا به. فليكن مأكلا ومشربنا دون الشبع، ولنكف عن تناول الغذاء
وبنا بعض الشهية والقابلية اليه، ولا نأكل ولا نشرب غير الحلال.^(٢)
وقد عرف الناس الحلال ضد الحرام كالنور ضد الظلمة، وهو ما
نكسبه بكد سواعدنا وجهد أفكارنا، دون اعتداء ولا اختلاس ولا
احتيال فهو حلال. وفي مثل دارج: "بطونهم قبور لهم"، فالبطن، بمعناه
المجازي والصحيح، حين يمتلئ من دون الجنّي الحلال يطاله الفساد.
وسلامة البطن دائماً هي في القناعة والاعتدال وفي اجتناب المسكرات

(١) العودة إلى فقرة "العقل" من هذا الكتاب.

(٢) لمن يرغب العودة الى كتاب مشيخة العقل "علامة المؤمن".

والمخدرات والمثيرات للشهوات. وامتلاء المعدة في جميع الأحوال يسبب التخممة، والتخممة تسبب الأمراض، وقيل "المعدة بيت الداء".

يقول الشيخ الفاضل^(١) عن بعض العلماء: عليك بحفظ البطن وإصلاحه فإنه أشدُّ الأعضاء إصلاحًا على المجتهد* وأكثرها مؤنةً وشغلًا* وأعظمها ضررًا* لأنه المنيعُ والمعدنُ* ومنه تهيجُ الأمور في الأعضاء من قوةٍ وضعفٍ وعفةٍ وجماحٍ.

تبقى الجارحة الأخيرة، وهي الفرج. فالعزة الإلهية خلقت الانسان ذكراً وأنثى، كما خلقت الحيوان، وأوجدت في النبات آلي التلقيح واللقاح. تلك سنة الكون لبقاء الأنواع ومنها البشر.

والله سبحانه تعالى حلل الزواج الصحيح، وجعله شرعة من شرائع البقاء، وحرّم الزنا^(٢). لأنه مخالف للسنن الشريفة^(٣).

ولا يحسن أحدٌ أن في العفة تأخر حضاري.. لا.. العفة هي أن تأبى النفس عن رخيص الدنيا مهما غلا، وشبعها عن الشهوات مهما طابت، ورفضها للإغراءات على قوة اجتذابها. والعفيف من عَفَّ عن الحرام والشبهات، والرذائل والموبقات، وعن كل دنسٍ جسماني وروحاني. مَنْ تعَفَّفَ تَلَطَّفَ، ومن تَلَطَّفَ تَعَالَى. والعفة كرسى الموظف، وسيفُ المُجاهد، وجواد العابد إلى خالقه وفيها يقول الشاعر:

من حباه الرحمن ثوب عفاف رصع الناس ثوبه بالجواهر

(١) «وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا» [الاسراء ٣٢].
(٢) «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً» [الروم ٢١].

والتفلّت من قاعدة العفّة أو التهاون فيها يورث الحياة الحرام^(١)،
والضرر في الحياة الاجتماعية ويبعث على الشرور ويوصل بالبشر الى
الفوضى وربما التهلكة.^(٢)

فليُدرك المرَبون ضرورة توعية أبنائهم والأمهات بناتهم، الأمور
الجنسية المتوجبة تدريجياً بحيث تقي المراهق (فتاة أو فتى) من مزالق
كثيرة، تسبب أخطاراً بالغة على صحتهم، وعلى خلقهم القويم، بسبب
هذا الاختلاط المتزايد الذي يفرضه واقع هذا العصر.

(١) الجنس الحرام، إقامة علاقة بين رجل وامرأة بدون زواج.
(٢) ﴿فَلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف ٣٣].

المعاملة مع المجتمع

يشدد شيوخ المذهب على حُسن الاخلاق وحُسن المعاملة في المجتمع، إضافة الى قاعدة أساسية عند الموحّدين وهي أدب الدين قبل الدين وهي الفضائل العقيّة بكاملها.

يقول السيّد الأمير(ق): "ان في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق وفي تصفية الأخلاق استشعار الخلاق".

ويقول الشيخ الفاضل(ر): أساس الخير كلّهِ حالان: "تهذيب الأخلاق واستشعار الخلاق". ويضيف: "فأمّا حسن الأخلاق فهي الخصلة المرضية، والسجّية المنجّية، التي بها تُنال خيرات الدُّنيا والآخرة، وبها تكون السعادة في الدّارين إذا اقترنت بالإيمان والدين، فالخلق الحسن عونٌ عظيمٌ للإنسان على دينه وعلى طاعة ربه، ومُعاملته للناس ومعاشرته لهم فيريح ويستريح".

ويوصي الشيخ الفاضل(ر) بحسن المعاملة في البيع والشراء، والأخذ والعطاء، والقرض والوفاء، وغير ذلك من سائر المعاملات: "لأن المعاملة الصحيحة قاعدة عظيمة في الدين، بل لا يصح لأحد دين إلاّ بحسن المعاملة، والرب سبحانه وتعالى يؤأخذ على مثقال الذرة"، ويضيف: "يُعِينُ على حسن المعاملة حالة واحدة وهي التقوى، لأن من اتقى الله حقُّ تُقَاتِهِ، أخلص لله تَعَالَى في سائر معاملاته، ويحرص كل

الحرص على الوفا. إذا كان عليه دينٌ ولو انه دِرْهَمٌ واحدٌ او قيمته، لأن الوفا من نوع المروءة والتقوى، وهو من الفروض اللازمة على الإنسان. ومن لم يكن حسن المعاملة فهو خَرِبُ الدمة، قليلُ الخوفُ من غضب الله، قليل الدين. والمعاملة هي مع الله تَعَالَى، لأن من عامل الناس بالمليح فقد عامل نفسه وربَّهُ بِالَّذِي هو احسنُ. ومن كانت معاملته رديئةً فقد شَوَّش على نفسه وعَرَضَه عند الناس، وأضرَّ بدينه عند الله تَعَالَى".^(١)

وهنا تبرز أهمية الضمير الإنساني. وفي هذا المجال يقول السيد الأمير(ق) للشيخ ناهض الدين: "الحمد لله المنعم على اوليائه بنعمته ومتولي من أخلص ضميره بعونه ورحمته".

قال الله تَعَالَى^(٢): ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾. والتعارف لا تفاخر ولا تناكر. يقول السيد الأمير(ق): التفاخر يُبعد عن التلاقي والتقابل السليم. وأهمه التفاخر بعلو النسب، وانما الفخر بالتقوى،^(٣) كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ﴾. والتناكر كاللمز والسخرية والغيبة وأمثالها. بينما يتطلب التعارف التزام الصدق والأخلاق وآداب السلوك. والتعارف يعني التعايش السلمي واحترام الآخر.

(١) ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا وَلَا تَكُنْ دَا فِرْقَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الانعام ١٥٢]، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة ٢]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة ١]. ﴿وَإِذَا حُيِّبْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِثْلِهَا﴾ [النساء ٨٦].

(٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات ١٣].

(٣) نسب التقوى: الدين والعلم والطاعة والأخلاق الحميدة.

الحياء

الحياء في مذهب التوحيد قاعدة أساسية في سلوك الفرد، تميّز الإنسان عن الحيوان.

والحياء يقسم الى ثلاثة أقسام:

١- الحياء من الله. ٢- الحياء من الناس. ٣- الحياء من النفس.

الإنسان المؤمن يستحي من نفسه أن يأتي بالنقص او بما يخل بالشرف او الكرامة، وهذا أكمل أنواع الحياء، وبه حياة النفوس الشريفة. ومن استحي من نفسه كان استحياءه من غيره، وصح حياؤه من الله سبحانه وتعالى. وثمرة الحياء التدرُّج من مراقبة الناس إلى مراقبة الله عزَّ وجلَّ. وكذلك تعزيز الآداب والأخلاق والعلاقات الاجتماعية.

ولهذا نتوجه الى أبنائنا وخاصة النساء الى عدم الانجرار مع الموضة المزيفة وما يُدعى انه حضارة.

يؤكد مذهب التوحيد منع خلوة الرجل بالمرأة غير المحرم وذلك منعاً للوقوع في الحرام. والخلوة مثار للشبهات وهي مدخل لما هو معروف اليوم (بالتحرش الجنسي).

الحرية الحقيقية عند الإنسان هي التحرر من عبودية المادة، والجسد، والأننا، والنزوات الانفعالية، والتوجُّه نحو الخير لا الشر، البصيرة لا الغريزة، والعفة لا الشهوات. وقيل سبب سيادة الإنسان: الحياء والحلم والإيمان.

الذنب والتوبة

يقول السيّد الأمير(ق): "ومن كمال السعادة على العبد ان لا ينسى ذنوبه أبداً قلّت او كثرت. ومهما استطاع ان يحصي منها فليفعل".
ثم يضيف: "إذا جعل الانسان سيئاته منشورة ومكتوبة نصب عينه. وجعلها نار محرقة. فبذلك يلتجئ الى الله سُبْحَانَهُ في العفو والمسامحة ويرتجى له عدم المعادة. لأن إذا جَرَّب الانسان شيئاً من المأكولات او غيرها فحصل له منها ألم عظيم فربما لا يعاوده. فهكذا الذنوب هي المكاوي للنفوس الحية. وأما الميتة ما تحس بذلك. كما قيل ما لجرح بميت إيلاًم".
ويتوجّه السيّد الأمير(ق) بدعاء قائلاً: "فالله سبحانه يُمُنُّ علينا وعلى المخدوم بالتوبة عن الغفلات والسيئات. ويرزقنا اليقظة والمعونة على ما يرضيه في الدنيا والآخرة"^(١).

ويعتبر الأمير ناصر الدين التنوخي: "ان المعترف بذنبه أزكى لديه من المدلّ بعلمه عليه، وذنّبٌ يفتقر به العبدُ إليه، أحبُّ له من طاعة يفتخرُ بها عليه". ويحث السيد الأمير(ق) على الخوف من الذنب ورجاء العفو من البارئ جلّ وعلا. ويضيف: "لا يستحي (أحد) إذا لم يعلم الشيء ان يتعلمه، ولا يستحي إذا سُئِلَ عما لا يعلم ان يقول لا اعلم".

(١) «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» [التوبة ١٠٤]، «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» [الفرقان ٧٠]، «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» [الفاتحة ٣].

ومن الشروط الواجبة للتوبة الاقلاع عن الذنب وعدم العودة اليه .
وفي كلام الله تَعَالَى لَشِئْتَ عَلَيْهِ السَّلَام يَقُولُ: "فَبِعِزَّتِي أَقْسَمْتُ
وَبِجَلَالِي حَلَفْتُ، لَا أَمْنُعُ جُودِي عَنِ الْخَاطِئِينَ كَلِمًا أَنَابُوا إِلَيَّ، وَلَا أَقْطَعُ
إِحْسَانِي عَنِ الْعَاصِينَ مَتَى اعْتَمَدُوا عَلَيَّ، وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ".
وَخَاطَبَ السَّيِّدَ الْأَمِيرَ (ق) الْمُوحِدِينَ "بِأَهْلِ النَّظَرِ وَالْإِعْتِبَارِ" وَيَقُولُ:
"الْإِعْتِبَارُ، يَجْلُو عَنِ الْبَصْرِ ظُلْمَةَ الْإِعْتِدَارِ، وَقِيلَ احْتَفِظْ مِنَ النِّعْمَةِ
كَاحْتِفَاطِكَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، يَعْنِي وَاضِبْ عَلَى شُكْرِهَا وَطَاعَةِ مَوْلِيهَا، لِأَنَّ
شُكْرَ النِّعْمَةِ^(١) قَيْدٌ مَوْجُودِهَا، وَصَيْدٌ مَفْقُودِهَا"، فَاقْبُولِ الْإِعْتِدَارَ مِنَ
الْمَوْلَى نِعْمَةً مِنْ نِعَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقِيلَ عَنِ لِسَانِ اللَّهِ تَعَالَى: "يَا شِئْتَ فَبَرِّدْ حَرَقَ الْعَاصِيْنَ بِبَشَارَةِ
مُغْفِرَتِي، وَسَكِّنْ قُلُوبَ الْخَائِفِينَ بِسَعَةِ رَحْمَتِي، وَأَقْبِلْ إِلَيَّ بِقُلُوبِ الْمُدْبِرِينَ
عَنِّي، وَحَبِّبْنِي مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى الْهَارِبِينَ مِنِّي، وَارْدُدِ الشَّارِدِينَ إِلَيَّ رَدًّا
جَمِيلًا، وَكُنْ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ عَنِّي كَفِيلًا، فَبِعِزَّتِي أَقْسَمْتُ، وَبِجَلَالِي حَلَفْتُ،
لَا أَمْنُعُ جُودِي مِنَ الْخَاطِئِينَ كَلِمًا أَنَابُوا إِلَيَّ وَلَا أَقْطَعُ إِحْسَانِي عَنِ
الْعَاصِيْنَ مَتَى اعْتَمَدُوا عَلَيَّ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ".

(١) ﴿وَإِنْ تُعْذِرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم ٣٤].

الزواج عند الموحّدين

الأسرة هي أساس المجتمع، ومسؤولية الأبناء على عاتق والديهم في التربية، حتى السنة الخامسة عشرة من عمرهم. كما يتوجب متابعتهم في سن المراهقة لأنها فترة مهمة في تكوين شخصية الانسان.

الزواج^(١) - الولادة - الحمل.

الزواج هو الرباط الإلهي الذي حلله وباركه الله ليكون وسيلة للتكاثر، هو نعمة من نعم الله الكبرى، وله حقوق خاصة شرحها الفقهاء في كل دين، علينا التقيد بها لتصح جسامنا وتسلم عقولنا، وتصفو نفوسنا بعين الله، وليتم أخيراً بناء مجتمع سليم متقدم.

إنّ كل من يتدين بدين أو يتنسب الى مذهب يعرف ان من يوافقه في دينه أو مذهبه أفضل ممن يخالفه فيه (أي وحدة العقل والقلب والاعتقاد والسلوك)، والخضوع لهذه القاعدة هي تسليم لحكمته تعالى. ولهذا لا يتقبل مذهب التوحيد الزواج من غير المذهب، بعيداً عن أي تعصب، وأيضاً حفاظاً على كيان وهوية الطائفة القليلة العدد، وهذه الخصوصية عند الموحّدين لم تؤثر على انفتاحهم على كل شرائح المجتمع بتنوعهم

(١) ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل ٧٢]- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات ٤٩].

الطائفي أو على نضالهم الوطني والإسلامي وتاريخهم يشهد بذلك.
وقوام المجتمع عندهم حُسنُ المعاملة وحُسنُ الاخلاق.

استقل الموحدون الدروز في نظام احوالهم الشخصية. وشدّد مذهب التوحيد على الزواج الصحيح بين رجل وامرأة غير محرّم^(١). واكتفى بالزوجة الواحدة^(٢)، ومنع كلّ زواج آخر^(٣)، وحرّم أي علاقة مخالفة للطبيعة. ومنع إعادة المطلقة.^(٤)

وشدّد شيوخ المذهب على أن إجراء عقد زواج او حضور عقد بنت أو أرملة مغصوبة او مقهورة او مجبورة هو سفاح وحرام، وإذا كانت بنت غير بالغة وغير راشدة فلا يجوز زواجها مطلقاً^(٥).

كذلك من اتسم بسمة الدين لا يحل له ان يطابق على خطيفة او يدخلها بيته. وكل من يتزوج خطيفة فإثمه كبير وله قصاصه.

ومن المستحسن في التوحيد عدم إطالة فترة الخطوبة وإجراء عقد الزواج قبل الزفاف بأسبوعين على الأكثر أو جب، إذا لم يكن من حالة اضطرارية.

(١) لمن يرغب، العودة الى كتاب مشيخة العقل "السبيل الى التوحيد".
(٢) «فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة» [النساء ٣]، «ولكن تستطيّعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» [النساء ١٢٩]. والمادة ١٠ من قانون الأحوال الشخصية لطائفة الموحدين الدروز.

(٣) زواج المتعة والمسيار والمسكنة.

(٤) المادة ١١ من قانون الأحوال الشخصية لطائفة الموحدين الدروز.

(٥) رضا الفتاة ركن من أركان العقد، ولا يصح ويُقبل قبل بلوغها العقلي.

ويحرم علماء المذهب جماع المرأة اثناء الرضاع لأنه يفسد اللبن^(*) ويضر الرضيع، كذلك يحرم الجماع مع الحمل لأنه يضر بالجنين، أو أثناء الحيض.

ويقضي شرع الموحدين إرضاع الطفل حولين قمرين كاملين وإراحة المرأة من الحمل بعده سنة كاملة لصحة جسدها وعدم اشغالها عن واجباتها وخاصة الدينية، ويعتبر عدم التقيّد بهذا مخالفة.

ويحرص الموحّدون على عدم الزواج في الأيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة^(١) (عشور الأضحى المبارك) وهو صومٌ مندوب تطوعاً وتقرباً الى الله تعالى، ويكره عندهم الزواج فيه، والمكروه عند المشايخ الثقة يقارب في المسلك الروحي رتبة الحرام.

يشدد مذهب التوحيد على تخفيف المهر (الصدّاق) بقسميه المُعجّل والمؤجّل، ويقضي إعادة النظر اليوم بتكاليف الزفاف والاختصار ما أمكن.

أمّا بخصوص عقود الزواج في بلاد الاغتراب فيجب ان تُبنى على الأصل، أي عقد الزواج الديني من المرجعية الروحية (مشيخة العقل) قبل القيام بإجراءات أخرى تفرضها ظروف البلد المقيم (زواج أجنبي).

(*) اللبن: حليب الأم، وعندما يفسد يعرف بالغيل.

(١) (والفجر * وليالٍ عشر) [الفجر ١-٢].

وفي الظروف الراهنة التي يزداد فيها مشاركة المرأة للرجل في العمل وسواء كانت تعمل قبل الزواج واستمرت في عملها، أو تم التوافق على عملها بعد الزواج، أو في حال أوكلت المرأة زوجها في بعض أمورها وممتلكاتها، يتوجب في كلا الحالات وضع اتفاق مالي واضح للعمل به بين الزوجين، ويكون خطياً.

والطلاق عند الموحّدين هو أبغض الحلال، وهو بيد القاضي ولا يكون نافذاً إلا بعد صدور الحكم به ونظراً لمنع إعادة المطلّقة، فإننا نحذّر من التسرّع في معاملات الطلاق وخاصة بعد إنجاب الأولاد.

الفصل الخامس

السعادة في التوحيد

تتكرر كلمة السعادة في مكاتبات السيّد الأمير(ق) فيقول: "فإذا ادبرت النفس عن ملذوذات الدنيا وشهواتها والكبر والحسد والرياء والنفاق والتجبر وطول الأمل والمحرمات، فحينئذٍ يرجى لها بل يتحقق أنها من السعداء الفائزين".

كما يقول: "قاعدة السعادة في الدنيا والدين ان العبد يستشعر وجود حضور خالقه في سرّه وطويته وظاهره وباطنه، لأنه لا يخلو منه مكان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى".

ويضيف: "إذا صرف العبد نفسه الى تذكّار زَلِكِهِ، وتوسل الى ربّه ورحمته في العفو، فربما يكون ذلك سُلماً له الى السعادة الأخيرة".
وتشير أقوال السيّد الأمير بوضوح الى استشعار الخلاق في القلب وهذا هو وصالٌ حقيقي فيقول:

"والقلب إذا خلا من غير الله تَعَالَى، وامتلاءً من معرفة الله، وتعمّر بأنواره. فيصير ذلك العبدُ مهما سعى وفكر ونظر وسمع، يُجَيِّلُ الله في كل ذلك. بحيث انه لا يتكلم بلفظ ولا يسمع صوتاً ولا يفكر في شيء إلا وهو مشغول به".

ثم يضيف "القلب إذا أزهّر بمشاهدة الحي الذي لا يموت، صيرّه الحي الذي لا يموت حياً لا يموت".

ويقول في مجال آخر: "إذا سعد العبد بوصول مولاه على الحقيقة فقد صارت دنياه آخرته، وموته حياته، وفقره غناه، ومرضه صحته، ونومه يقظته، وضعفه قوته، وحزنه فرحه".

ويقول أيضاً: "فلا يعد المخدوم انه في غربة، لأن الأنس الأعظم معه حيث كان، بل يكون من سائر ساعاته ولحظاته، وفي أي حال كان، مستحضراً، مستشعراً أنه بين يديه ولا مهرب ولا ملجأ منه إلا إليه".

ويضيف: "وفي الحقيقة ما ثم غربة الا بالحجة عن مشاهدة الحق. لأن المحقين غربتهم هي حجبهم عن مشاهدة الأنوار، لأن ما وُجدت الخلق الا لهذا الأمر، فإذا اتحدوا بأنواره لم يكونوا بغرباء، بل الغربة ان يكون العبد منقطعاً عن مولاه مشتغلاً بلذاته وهو اه. منكوساً في الباطل ومهواه".

وحصول هذه المشاهدة القلبية في دار الدنيا تؤدي الى الفرح والسعادة في دار الآخرة. وقال أبو يزيد البسطامي: انّ لله عباداً لو حجبهم الجنة عن رؤيته ساعة لاستغاثوا بالخروج من الجنة، كما يستغيث اهل النار بالخروج من النار.

السعادة^(١) مولود المحبة.

من أقوال الحكماء: "إِيَّاكَ أَنْ تَطْمَع بِحُبِّ اللَّهِ وَأَنْتَ تَحِبُّ الْفُضُولَ" وقيل: "من عظام الآفات ثلثة: رؤية الخلق، ورؤية العمل، ورؤية النفس. والواجب على العبد ان يغيب عن الثلاثة برؤية خالقه تَعَالَى، وينسى في جنبه كلَّ شيءٍ، ومن استولى عليه حُبُّهُ، وتلذَّذَ بمشاهدته وقربه، اخذه بذلك شُغْلٌ شاغِلٌ وامتلاً من ذلك قلبه".

الحقيقة ان الله سبحانه وتعالى قد منح حبه للخلق فأوجدهم وحباهم بأنعامه التي لا تقدر ولا تحصى. وفي حين يكون مسلك العبد موافقاً لأمر الله ونائياً بالتقوى عن نهيه، فإن المخدم بذلك يؤدِّي واجب الوفاء والمحبة للمعطي والمنعم، وكلما ازدادت التقوى فالمحبة تزداد في قلب المؤمن عملاً بقوله تَعَالَى: "والذين آمنوا اشد حبا لله"^(٢).

وقد يزداد الحب ويصبح شوقاً كما قالت رابعة العدوية: "ما عبدته خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، عبدته حياً له وشوقاً اليه". فتكون العبادة هي المحبة القصوى لله تَعَالَى.

(١) «وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» [هود ١٠٨].
«وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ» [الحجرات ٧]، «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الشعراء ٨٨-٨٩].
(٢) [البقرة ١٦٥].

ومن أجمل ما قيل في المحبة: "مولاي، لقلوبنا في حبك، لهفات
وحسرات، وتوسّلات، آناء الليل وأطراف النهار. في تلك الآناء، تخلدُ
قلوبنا فيها لك، وتنفرد معك، وما كان الليل لها ستاراً".
لا تجسّد ولا حلول مع الله في التوحيد انما وصالٌ واتحاد بأنواره.
وعندما يمتلئ القلب مفعماً بالمحبة لله سبحانه وتعالى، تزداد المحبة بين
اخوانه، ويترسخ احترام الآخرين من نظرائه، وهي طريق الصلاح
للعيش السليم.

اعتقاد الموحدین الدروز

ما تضمنه هذا الكتاب من فصول هو خلاصة موجزة عن مذهب التوحيد بأن تعبد الله كأنك تراه وان لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا يؤدي حتماً الى لقائه عزَّ وجلَّ في دار الآخرة.

فالموحدون يعتقدون بمشاهدة ورؤية الله عزَّ وجلَّ في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ *﴾^(١)، وهو لعظم الحكمة والقدرة ولثواب الموحدین الفائزين يتجلَّى^(٢) سبحانه للخلق أجمعين^(٣). فإذا أُدخل أهل الجنة الجنة وثقلت موازينهم وبيضت وجوههم فيكشف الله سبحانه وتعالى الحجاب فينظرون اليه، ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر. قال ذو النون المصري: "مَا طَابَتِ الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَلَا طَابَتِ الآخِرَةُ إِلَّا بِعَفْوِهِ، وَلَا طَابَتِ الْجَنَانُ إِلَّا بِرُؤْيَيْهِ"^(٤).

السيد الأمير (ق) يتوجه بالدعاء للشيخ ناهض الدين بقوله: فالله تعالى ... يتلقاك بوجه الرضى يوم الجزاء والمعاد.
إنها السعادة الأبدية في اليوم الموعود، وهي غاية الإيمان الذي يحققه الإنسان.

(١) [القيامة ٢٢-٢٣].

(٢) يتجلَّى: يتكشف ويظهر.

(٣) ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن ٦٠] ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون ١٠٢].

(٤) ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم ٤٨].

خلاصة عامّة

يؤمن الموحدون الدرّوز بالله سبحانه وتعالى واحداً واحداً فرداً صمداً،^(١) موجوداً منزهاً، لا شريك له، ليس كمثلته شيء^(٢)، وهو أحكم الحاكمين، له الإرادة والمشية، نور السموات والأرض^(٣)، عالم الغيب والشهادة، الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.^(٤)

كذلك يؤمن الموحدون بملائكته، وبرسوله خاتم النبيين، وكافة الأنبياء والمرسلين الذين اجتباهم الله سبحانه وتعالى مبشرين ومنذرين بالرسالات، والكتب السماوية لئلا يكون للناس على الله حجة بعدهم، كما يؤمنون بقضاء الله وقدره، وباليوم الآخر.

الموحدون الدرّوز فرقة من الفرق الإسلامية، تشهد: "أَنَّ (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر".^(٥) ويتلخص توحيدها بقوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [آل عمران ١٨].

(١) جاء في القرآن الكريم، ﴿اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

(٢) [الشورى ١١].

(٣) [النور ٣٥].

(٤) [آية الكرسي].

(٥) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران ١١٠] - من المعلوم أن للصحابي الجليل سلمان الفارسي مكانة مميّزة عند الموحدّين الدرّوز - وكذلك سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ر).

الخاتمة

إن الجوارح التي تعمل اليوم في هيكل البشرية هي غير جوارح الإنسان الصحيح^(١)، لأن الله سبحانه خلق الإنسان وزوّده منذ خلقه، بالعقل والخُلُق، وهما أشرف وأصدق زاد، ومتى انعدما، انعدم بناء هذا الهيكل من أساسه.

العلاج يتحقق في مثابرة أولياء الأمور على التطوع لخدمة العدل والحق، ولخدمة الجمال النابع من الخير والفضل والصلاح.

لا بد من سامع يسمع، لقد وهبنا الله نعمة الإيمان به، وهبنا الحياة الروحية الخالدة: حياة الشرف والعفة، حياة النبل والفضيلة، حياة الإخلاص والتضحية، حياة الصدق والمحبة، حياة التعاون والإلفة، وشمس الحقيقة التوحيدية ساطعة سطوع الشمس في رابعة النهار. ولقد مَنْ اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا بِأَفْضَلِ الْمَنَاقِبِ وَأَنْبَلِ الْمَقَاصِدِ وَأَكْرَمِ الْأَخْلَاقِ. فعلام نحن ساهون؟

الواجب أن ننظر الى الأمور بعين العقل والروية والضمير، وان ندرك ان عز الجماعة بعز أفرادها، وان لا عزة للفرد الا بإصغائه لصوت ضميره، وبردته الى مخافة ربه، وبكبحة لجماح نفسه، وسعيه من جديد الى كرامة التوحيد حيث عناقيد العدالة الاجتماعية والإنسانية المثلى، ومن واجباتها حفظ الاخوان.

(١) لعمل الجوارح الصحيح يقتضي تغذية الجسد بالرزق الحلال، وتغذية النفس برياضة العلوم التوحيدية. (وخير دليل مندرجات هذا الكتاب)

ان الجسد فانِ فناء هذه المدنيّة، والروح فيه وفيها هي التي تبقى خالدة عبر الأجيال. كان مصدر عزمنا ما انطبعا عليه من شمائل، وسيبقى.

علينا الاحتفاظ بتقاليدنا وعقائدنا، وقراءة تاريخنا الطويل. هذا مع الأخذ بالحسن المفيد المحتشم من مستحدثات الحضارة المادية، والنصيحة المثلى بأن نبقى دائماً أسياد أنفسنا فلا نذها إله الله، وان نسخر المادة لصيانة تراثنا العامر بالمكرمات، وفي المحافظة عليه. لقد تقدمت العلوم أشواطاً لكن الأخلاق لم تتقدم في الأفراد ولا في الجماعات والدول.

خصال معدودة من صفات الموحّدين لمن يعبد الله كأنه يراه كما عدّها الشيخ الفاضل وأهمها: أولها الصدق باللسان والجنان والأركان (أي الجوارح). ثمّ المحافظة والمناصرة والمعاضدة للإخوان، ومحض الود والصفاء والمناصحة لهم في السرّ والإعلان. ثمّ الرضى بأحكام الرب سبحانه وتعالى في كل ما يريد. ثمّ التسليم لأمره والتفويض وإلقاء مقاليد اليه في كل وقت جديد. ثمّ تصفية القلب. ثمّ تنقية السر. ثمّ معرفة الفرائض الدينية والمواجب الإلهية. ثمّ تقوى الله سبحانه وتعالى في السرّ والعلانية. ثمّ استشعار حضوره تعالى وانه معه ولا يفارقه طرفة عين. ثمّ الحياء منه تعالى أكثر من استحيائه من جميع الخلق. ثمّ الخوف من مخالفة أوامره وعقابه. ثمّ الرجا لعفوه وثوابه. ثمّ الإخلاص له في العلم والعمل. ثمّ التوبة الخالصة قبل مفاجأة الأجل. ثمّ غض الطرف.

ثمَّ اجتنابُ المحارم. ثمَّ مُحاسبة النفس على كل لحظة وفي كل حال. ثمَّ ملازمة الصبر والاحتمال. ثمَّ حُسن المعاملة في البيع والشراء. والأخذ والعطاء. والقرض والوفاء. وغير ذلك من سائر المعاملات. ثم حسن الاخلاق ولين الجانب. ثم ايثار القنع. ثم النزاهة والعفاف. ثم الاعراض عن فضول الدنيا. ثم ذكر الموت والاعتبار به. ثم ترك الزينة. ثم ترك التكبر. ثم مخالفة الهوى. ثم قهر الغضب. ثم ملك الشهوة. ثم ترك الدغل. ثم ترك الحقد. ثم ترك الحسد. ثم ترك الرياء. ثم ترك العُجب. ثم ترك الغيبة. ثم ترك النميمة. ثم اجتناب نقل الحديث بغير تأكيد. ثم اجتناب القطع بالظنون من غير تحقيق. ثم ترك الدعاء بالسوء بالكلية ان كان على انسان او حيوان او غير ذلك من كل شيء. ثم الامسك عن كثرة الكلام وترك الهذر والهذيان في امور الدنيا. ثم كثرة الصمت خصوصاً في المحافل والسكون والتواضع والتأني وخفاوة الصوت ولزوم الوقار. ثم ترك الهزل والمزاح والاستهزاء والضحك الا ان يكون تيسماً. ثم ترك تضييع الأوقات في غير ذكر الله تَعَالَى. ثم الاحتراز من شهوات الجسد. والميل الى التمتع والترفيه وفضول المطاعم والمشارب والملبوس والنوم والراحة وما شاكل ذلك من جميع الفضولات الجسمانية^(١).

أعاننا الله تَعَالَى وإياكم على ذلك والحمد لله رب العالمين.^(٢)

(١) الفضول: الزيادة على ما يحتاج إليه المرء، أو الزيادة على ما لا خير فيه.
(٢) «هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» [لقمان ١١] - «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ» [المؤمنون ١٤] - «رَبِّ الْمَشْرِقِينَ وَرَبِّ الْمَغْرِبِينَ» [الرحمن ١٧] - «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [الملك ١] - «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [الحديد ٣].

أدعية

الدعاء قبل النوم:

اللهم إني اليك أويت، ورضاك نويت. اللهم أنم في طاعتك عيني وأدم في رضاك عوني. اللهم اجعل لك يقظتي ونومي، واجعل في طاعتك ليلتي ويومي. اللهم أحرسني بعينك التي لا تنام. بجاه رسولك خير الأنام. عليه أفضل الصلاة والسلام.

دعاء أثناء العثرات والمرض:

تحصّنتُ بالعزّة والجبروت، واعتصمت برب الملكوت، وتوكلت على الحي الذي لا يموت. اللهم أصرف عني كل وباء وبلاء، واشفني من كل داء. اللهم أرعني بعونك، واحفظني بصونك، وأعطني من نعمائك، ووقفني الى رضائك. اللهم استر عوراتي، وأمن روعاتي، وأقلني عثراتي، إنك أرحم الراحمين، وعلى كل شيء قدير. اللهم هذا الدعاء مني، ومنك الإجابة يا غوث المستغيثين يا رب العالمين.

دعاء يوسف الصديق عليه السلام:

اللهمّ يا كاشف كل كربة، ويا مجيب كل دعوه، ويا صانع كل مصنوع، ويا جابر كل كسير، ويا مطلق كل أسير، ويا شاهد كل نجوى،

ويا دافع كل بلوى، ويا مؤنس كل وحيد، ويا صاحب كل غريب، ويا
قريباً غير بعيد، لا إله الا انت سبحانك.
أسألك ان تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، إنك على كل شيء قدير.

دُعاء سيدنا دانيال عليه السلام:

الحمد لله الذي لا ينسى من ذكَّره. الحمد لله الذي لا يخيب من رجاه.
الحمد لله الذي لا يكل من توكل عليه إلى سواه. الحمد لله الذي هو ثقتنا
حين تنقطع عنا الحيل. الحمد لله الذي هو رجانا يوم يسوء ظننا بأعمالنا.
الحمد لله الذي يكشف ضُرنا وكربتنا. الحمد لله الذي يجزي بالإحسانِ
إحساناً، وبالسيئاتِ عفواً وغفراناً. الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاهاً
وامتناناً. لا إلهَ غيرهُ ولا معبودٌ سواه.

كلام مُبارك يُذكر قبل تناول الطعام:

بسم الله الرحمن الرحيم.

- ١- سُبحانَ مَنْ قَسَمَ الأرزاقَ ولم ينسَ من فضله أحدَ.
- ٢- الغذاء الحقيقي بأربعة: غذاء النفس بالدين، وغذاء القلب باليقين،
وغذاء الجسم بالرزق الحلال، وغذاء العين بمراقبة ذي الجلال
[السيد الأمير (ق)].

فهرس

المقدمة ٢-١

التوطئة ٤-٣

الفصل الأول:

مذهب التوحيد ومراتب الإيمان ٦-٥

الإيمان بالملائكة ٨-٧

الإيمان بالكتب المقدسة ١٠-٩

الإيمان بالرسل والأنبياء ١٣-١١

الإيمان باليوم الآخر (الثواب والعقاب على أساس الأعمال) ١٥-١٤

الإيمان بالقضاء والقدر ١٨-١٦

الفصل الثاني: العبادة في التوحيد

عبادة الله دون إشراك ٢٠-١٩

العبادة في الاكتساب ٢٥-٢١

النوايا الخيرة ٢٥-٢٥

الفصل الثالث: الإنسان في مذهب التوحيد

الإنسان أشرف المخلوقات ٢٩-٢٦

العقل ٣٢-٣٠

- النفس ومعرفتها ٣٣ - ٣٣
- كيف فسر التوحيد معرفة النفس ٣٤ - ٣٥
- مسؤولية الموحد ٣٦ - ٣٦

الفصل الرابع: العبادة بالاجتناب

- الصدق في التوحيد ٣٧ - ٤٢
- المعاملة مع المجتمع ٤٣ - ٤٤
- الحياء ٤٥ - ٤٥
- الذنب والتوبة ٤٦ - ٤٧
- الزواج عند الموحدين ٤٨ - ٥١

الفصل الخامس:

- السعادة في التوحيد ٥٢ - ٥٣
- السعادة مولود المحبة ٥٤ - ٥٥
- اعتقاد الموحدين الدروز ٥٦ - ٥٦
- خلاصة عامّة ٥٧ - ٥٧
- الخاتمة ٥٨ - ٦٠
- أدعية ٦١ - ٦٢